٣ - رسالة الاوراق البغدادية في الحوادث النجدية

للسيد ابراهيم الراوي الرفاعي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله حق حمده و الصلوة و السلام على من لا نبي من بعده و على آله و صحبه و بعد فيقول العبد المفتقر الى رحمة ربه الكريم الراوي الرفاعي ابراهيم قد بسطت في كتابي اللمعات ما جرى في الحجاز عند احتلال عبد العزيز ابن سعود هذا القطر المقدس الذي هو المهد الاول للاسلام و المسلمين من الامور التي كسرت عواطف العالم الاسلامي و احببت ان الخص و افرد تلك المباحث بورقات ليسهل الاطلاع على ما فيها و النظر في ظاهرها و خافيها خدمة لاهل الاسلام و رفعا لسوء التفاهم بين الانام فاقول و بالله التوفيق و بيده ازمة التحقيق ليعلم ان سكان نجد من اهل السنة و الجماعة و معظمهم من مقلدي الامام أحمد بن حنبل رحمه الله في الفروع و الاصول و فيهم علماء افاضل في المنقول و مما يمدحون به بعدهم عن الحضارة و المدنية العصرية التي تلوثت بمساويها الاخلاق الاسلامية غير ان الاكثرية الساحقة فيهم من العوام لا سيما طائفة الاخوان فقد بلغنا ان الذي لا يقرأ القرآن يقول للقارئ اقرأ و انا افسّر لك و قد تلقنوا من مشائخهم المتعصبين المتطرفين ما حملوا كلما جاء من الآيات القرآنية في حق المشركين على المسلمين غافلين عن قوله تعالى **(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** * القلم: ٣٥-٣٦) و مما يوجب الاسف انم و من خالفهم من اهل البلاد الاسلامية على طرفي نقيض و قد ارتكبوا في غزواتم المسلمين منكرات عظيمة من قتل الانفس و سلب الاموال حتى قتلوا الاطفال و يقولون عند ذلك هؤلاء كفار **(وَلا يَلِدُوا اِلا فَاجِرًا كَفَارًا** * نوح: ٢٧) و قد اشتهر عنهم انم يكفّرون من عداهم من المسلمين الذين يصدق عليهم قوله صلّى الله عليه و سلّم **(امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله و ان محمداً عبده**

و رسوله و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني **دمائهم و اموالهم الا** بحق **الاسلام و حسابم على الله)** رواه البخاري و كذا رواه مسلم الا قوله الا بحق الاسلام و روى الطبراني عن انس **(امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الخ)** و من اعظم ما ارتكبوه عند احتلالهم الطائف الفعلة التي فعلوها باهل تلك البليدة التي اهتز لها العالم الاسلامي من قتلهم المئآت من المسلمين و فيهم عدد من علماء الدين كالسيد عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة و الشيخ عبد الله أبو الخير قاضي مكة و الشيخ سليمان مراد قاضي الطائف و السيد يوسف الزواوي الذي ناهز الثمانين من العمر و الشيخ حسن الشيبي و الشيخ جعفر الشيبي و غيرهم ذبحوهم بعد ما آمنوهم عند ابواب بيوتم و قد قيل انه لم يكن مع الهاجمين احد من العرفاء و الامرآء و اما ما فعلوه من النهب و السلب و تعذيب كثير من الرجال لاظهار مخبئات الاموال فحدث عنه و لا حرج و لو ارخى ابن سعود لهم العنان لعاثوا ببقية القرى و البلدان و قد اشتهر عن بعضهم انم ينسبون للشرك كل من خالفهم في عاداتم من استئصال الشارب و ارخاء اللحى و كل من يستعمل الدخان المعروف بالتتن و كل من يزور قبور الانبياء و الصالحين و كل من يبني على قبورهم و بذلك قد خالفوا معتمدهم في منهجهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية[١] و سأذكر ما بسطه في كتابه الصراط المستقيم انشآء الله تعالى فاما استعمال الدخان المعروف بالتتن الذي يزعمون انه مسكر فلو سلمنا انه مسكر فمستعمله عاص لا غير ثم باي دليل ثبت انه مسكر اذ ليس في التدخين ما هو مسكر الا الحشيشة المعروفة و اما هذا الدخان المعروف بالتتن فليس فيه اسكار لان السكر معلوم أوّله نشوة مطربة ثم يذهب بالعقل فيختل الكلام المنظوم و النطق المفهوم نعم قد تدخل الحرمة فيه من جهة التبذير و الضرر او تدخل فيه الكراهة من جهة الرائحة الكريهة و اما حف الشارب المأمور به في الحديث فالسنة فيه ان تظهر حمرة الشفة كما نبه على ذلك العلماء و قد ذكر

---

(١) احمد ابن تيمية الحنبلي توفي سنة ٧٢٨ هـ. [١٣٢٨ م.] في الشام.

بعضهم ان استئصاله مشوه للخلقة و حينئذ يكون استئصاله مكروها قال الغزالي في الاحياء و حفاف الشئ حوله و منه و ترى الملائكة حافين من حول العرش و إذا سلمنا ان استئصاله هو السنة فان ترك استئصاله مكروه لا غير.

و اما زيارة قبور الانبياء و الصالحين فلا نظنهم ينكرونا إذا كانت على الوجه المشروع الذي وردت به السنة فان الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ذكر ما ورد فيها من الاحاديث الصحيحة في كتابه الصراط المستقيم الذي هو مرجعهم و ذكر ايضا في كتابه هذا و في مناسكه زيارة قبر النبي صلّى الله عليه و سلّم و زيارة اهل البقيع و المقامات التي في المدينة و سأذكر ذلك مفصلا و لكن الذي ينكرونه و ينسبون فاعله للشرك هو كلما يخالف الشرع في الزيارة من المبالغة في تعظيم المزور و السجود له فانم و عموم المسلمين متفقون على ذلك و اما ما فيه خلاف بين العلماء من تقبيل القبر و التمسح به و الطواف به و الصلاة عند القبر لا بقصد التعظيم فانه دائر عند العلماء بين الكراهة و الحرمة و الاباحة كما سأنقله عنهم و الذي حمل المشددين من اهل نجد على النكير في الزيارة المخالفة للسنة زيادة الورع من الشيخ تقي الدين ابن تيمية تحاشيا عما يوهم التشبه بعادات اليهود و النصارى عند قبور انبيائهم و صلحائهم و قد ذكر الاحاديث الواردة في ذلك فقال في كتابه الصراط المستقيم روى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي سمعت النبي صلّى الله عليه و سلّم قبل ان يموت بخمس و هو يقول **(اني ابرأ الى الله ان يكون لي منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا و لو كنت متخذاً من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا الا و ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم (و** في **نسخة و صالحيهم) مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد اني اناكم عن ذلك)** و عن عائشة و عبد الله بن عباس قالا لما نزل برسول الله صلّى الله عليه و سلّم طفق يطرح خميصة على وجهه فاذا اغتم با كشفها فقال و هو كذلك **(لعنة الله على اليهود و النصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد** يحذر **ما صنعوا)** اخرجه البخاري و مسلم و قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم في مرضه الذي لم يقم منه

(لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) لو لا ذلك ابرز قبره غير انه خشى ان يتخذ مسجداً انتهى و في البخاري عن محمد بن المثنى عن هشام قال اخبرني ابي عن عائشة ان ام حبيبة و ام سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي صلّى الله عليه و سلّم فقال **(ان اولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً و صوروا فيه تلك الصور فاولئك شرار الخلق عند الله يوم القيمة)** انتهى.

و للعلماء في علة النهى الوارد بذه الاحاديث كلام ففي شرح مسلم للنووي[١] رحمه الله تعالى قال العلماء انما نى النبي صلّى الله عليه و سلّم عن اتخاذ قبره و قبر غيره مسجداً خوفا من المبالغة في تعظيمه و الافتتان به فربما ادى ذلك الى الكفر كما جرى بكثير من الامم الخالية و قال في محل آخر قال الشافعي رحمه الله تعالى و اكره ان يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه و على من بعده من الناس انتهى و قد ورد في صحيح مسلم النهى عن الجلوس على القبر و عن الصلاة اليه بقوله صلّى الله عليه و سلّم **(لا تجلسوا على القبور و لا تصلوا اليها)** و بقوله صلّى الله عليه و سلّم **(لان يجلس احدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خير له من ان يجلس على قبر)** فعلم من هذا ان الميت يتأذى مما يتأذى منه الحي وقد ذكر الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى احاديث في كتابه الصراط المستقيم في باب الزيارة منها قوله و قد كان رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يأتي قبور اهل البقيع و الشهداء للدعاء لهم و الاستغفار فهذه الزيارة و هى زيارة القبور لتذكر الآخرة و لتحيتهم و الدعاء لهم هو الذي جائت به السنة و قال في محل آخر قبر المسلم له من الحرمة ما جائت به السنة اذ هو بيت المسلم الميت فلا يترك عليه شئ من النجاسات بالاتفاق و لا يوطأ و لا يداس و لا يتكأ عليه و يستحب عند اتيانه السلام على صاحبه و الدعاء له و كل ما كان الميت افضل كان حقه آكد و عن ابن عباس رضي

---

(١) الامام يحيى بن شرف النووي الشافعي توفي سنة ٦٧٦ هـ. [١٢٧٧ م.] في الشام.

الله عنه قال مر رسول الله صلّى الله عليه و سلّم بقبور المدينة فاقبل عليهم بوجهه فقال **(السلام عليكم يا اهل القبور يغفر الله لنا و لكم انتم سلفنا و نحن بالاثر)** رواه احمد و الترمذي و قال حسن غريب فهذا و نحوه ما كان النبي صلّى الله عليه و سلّم يفعله و يأمر به امته عند قبور المسلمين و عند زيارتم و المرور بم انما هو تحية للميت كما يحيى الحي إذا صلى عليه قبل الدفن او بعده و في ضمن الدعاء للميت دعاء الحي لنفسه و لسائر المسلمين كما ان الصلاة على الجنازة فيها الدعاء للمصلى و لسائر المسلمين و تخصيص الميت بالدعاء له فهذا كله سنة رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و ما كان عليه السابقون الاولون انتهى و قد اتضح مما قدمناه ان قبر المسلم يجب ان يصان من كل اذية كما يجب ان لا يعظم تعظيما يؤدي الى الافتتان كما في الامم السابقة و اتضح ايضا ان هدم القبب التي فوق قبور الانبياء و الصالحين فيه ايذاء فوق ايذاء الجلوس على قبورهم بكثير و لذلك لما فتح المسلمون الشام و بيت المقدس و رأوا على قبور الانبياء المباني فلم يهدموها و من اشهرها البناء الذي على قبر نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام و قد رأى ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يهدمه و لم يأمر بدمه.

و قد ذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية كتابه الصراط المستقيم وجود ذلك البناء على قبر الخليل عليه السلام زمن الفتوح و زمن الصحابة الا انه قال كان باب ذلك البناء مسدوداً الى سنة الاربعمائة فلو ان رجال حكومة نجد لما استولوا على الحرمين الشريفين و رأوا المباني التي على قبر ابن عباس في الطائف و على قبور اهل البيت و الصحابة في المدينة اكتفوا بسد ابوابا بدلا عن هدمها المؤذي لاصحابا فوق اذية الجلوس عليها لتخلصوا من جرم الاهانة و الايذاء (و قد اوضح العلماء رحمهم الله تعالى معنى قوله صلّى الله عليه و سلّم **(لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد)** و قوله صلّى الله عليه و سلّم **(اولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا الى قبره مسجداً و صوروا فيه تلك الصور)** ان اتخاذهم القبور مساجد اي كانوا يصلون عليها او يصلون اليها او يسجدون لها و هذا صريح في الكفر و

الشرك الذي لاجله ورد النهي و التحذير فحذر رسول الله صلّى الله عليه و سلّم امته من الوقوع في ذلك ارواحنا له الفداء و اما إذا كانت زيارة قبور الانبياء و الصالحين على الوجه الذي ذكره العلماء فليس من هذا الباب قطعا سواء كان على القبر بناء ام لا).

و هنا اذكر ما قاله العلماء زيارة القبور و زيارة الانبياء و الصالحين قال الغزالي[١] رحمه الله في الاحياء زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر و الاعتبار و زيارة قبور الصالحين مستحبة لاجل التبرك مع الاعتبار و كان رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ينهي عن زيارة القبور ثم اذن في ذلك بعد و ذكر في ذلك احاديث كثيرة سبق ذكر بعضها عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية ثم ذكر الغزالي الحديث المروي عن جعفر ابن محمد عن ابيه رضي الله عنهم ان فاطمة عليها السلام بنت النبي صلّى الله عليه و سلّم كانت تزور الحمزة في الايام و تصلي و تبكي عنده ثم قال قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم **(من زار قبر والديه او احدهما في كل جمعة غفر له و كتب براً)** و قال صلّى الله عليه و سلّم **(من زار قبري وجبت له شفاعتي)** و قال صلّى الله عليه و سلّم **(من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا و شهيدا يوم القيامة)** ثم قال و المستحب في زيارة القبور ان يقف مستدبرا القبلة مستقبلا بوجهه الميت و ان يسلم و لا يمسح القبر و لا يمسه فان ذلك من عادات النصارى قال نافع كان ابن عمر رأيته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي و ينصرف انتهى.

و قد وردت احاديث كثيرة في زيارة النبي صلّى الله عليه و سلّم منها مامر نقله عن الغزالي و منها ما في المواهب[٢] عن البيهقي **(من جائني زائراً لم تنزعه حاجة الا زيارتي كان حقا عليّ ان اكون له شفيعا و شهيدا يوم القيامة)** و منها خبر **(من**

---

(١) الامام محمد الغزالي توفي سنة ٥٠٥ هـ. [١١١١ م.] في طوس.

(٢) مؤلف المواهب اللدنية احمد القسطلاني الشافعي توفي سنة ٩٢٣ هـ. [١٥١٧ م.] في مصر.

حج و لم **يزرني فقد جفاني)** و منها ما ذكره الشيخ ابن تيمية في الصراط المستقيم و قال على شرط مسلم **(ما من احد يسلم عليّ الا رد الله روحي حتى ارد عليه السلام)** و ذكر في محل آخر الحديث الذي رواه أبو داود ان رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال **(اكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة و ليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة علي)** قالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك و قد ارمت فقال **(ان الله حرم على الارض ان تأكل لحوم الانبياء)** و قال في محل آخر عند ذكره زيارة النبي صلّى الله عليه و سلّم ذكر اصحاب مالك انه لا يتمسح بقبر النبي صلّى الله عليه و سلّم و لا يمسه و كذلك المنبر و لكن يدنو من القبر فيسلّم على النبي صلّى الله عليه و سلّم ثم يدعو مستقبل القبلة و يوليه ظهره و قيل لا يوليه ظهره و انما اختلفوا لما فيه من استدباره و اما إذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف و قال ايضا و اما مقامات الانبياء و الصالحين و هي الامكنة التي ماتوا فيها او اقاموا او عبدوا الله سبحانه لكنهم لم يتخذوها مساجد فقال سندي الخواتيمي سئلنا ابا عبد الله يعني احمد بن حنبل عن الرجل يأتي هذه المشاهد و يذهب اليها ترى ذلك قال اما على حديث ابن ام مكتوم انه سئل النبي صلّى الله عليه و سلّم ان يصلي في بيته حتى يتخذ ذلك مصلى و على ما كان يفعل ابن عمر رضي الله عنه يتبع مواضع النبي صلّى الله عليه و سلّم و اثره فليس بذلك بأس ان يأتي الرجل المشاهد الا ان الناس قد افرطوا فيه جداً و اكثروا فيه و كذلك نقل عنه أحمد ابن القاسم[١] انه سئل عن الرجل يأتي هذه المشاهد التي بالمدينة و غيرها و قال اما على حديث ابن ام مكتوم و على ما كان يفعل ابن عمر يتبع مواضع سير النبي صلّى الله عليه و سلّم فلا بأس و رخص فيه ثم قال و لكن قد افرط الناس جدا و كثروا في هذا المعنى فذكر قبر الحسين و ما يفعل الناس عنده رواهما الخلال في كتاب الادب انتهى.

و ذكر الرملي من آداب زيارته صلّى الله عليه و سلّم كثرة الصلاة عليه إذا

---

(١) ابن قاسم الشافعي الازهري توفي سنة ٩٩٤ هـ. [١٥٨٦ م.].

دنى من المدينة المنورة فإذا دخل المسجد قصد الروضة و هي ما بين القبر و المنبر و صلى ركعتين تحية المسجد و شكر الله بعد فراغهما على هذه النعمة ثم يأتي القبر الشريف مستقبلا رأسه مستدبرا القبلة و يبعد عنه نحو اربعة اذرع و يقف ناظرا الى اسفل ما يستقبله و يسلم عليه لخبر **(ما من أحد سلّم عليّ الا ردّ الله روحي حتى ارد عليه السلام)** (قال بعض الشراح اي نطقي كناية عن التفاته عليه الصلاة و السلام لرد السلام على المسلم عليه) و اقل السلام السلام عليك يا رسول الله و لا يرفع صوته تأدبا كما كان في حياته ثم يتأخر الى جهة يمينه قدر ذراع فيسلم على ابي بكر ثم يتأخر قدر ذراع فيسلم على عمر الى ان قال ثم يرجع الى موقفه الاول قبال وجهه صلّى الله عليه و سلّم و يتوسل به في حق نفسه و يستشفع به الى ربه ثم يستقبل القبلة و يدعو لنفسه و لمن شاء من المسلمين و ان يأتي سائر المشاهد بالمدينة و هى نحو ثلاثين يعرفها اهل المدينة و يسن زيارة البقيع و قبا ثم قال وليحذر من الطواف بقبره عليه الصلاة و السلام و من الصلاة داخل الحجرة بقصد تعظيمه و يكره الصاق الظهر و البطن بجدار القبر و مسحه باليد و تقبيله بل الادب ان يبعد عنه كما لو كان بحضرته صلّى الله عليه و سلّم انتهى باختصار.

و قال النووي رحمه الله تعالى في المنهاج و يكره تجصيص القبر و البناء و الكتابة عليه قال الرملي في شرحه و يستثنى من ذلك ما إذا خشي نبشه فيجوز بناؤه و تجصيصه ثم قال نعم يؤخذ من قولهم انه يستحب وضع ما يعرف به القبور انه لو احتاج الى كتابة اسم الميت لمعرفته للزيارة كان مستحبا بقدر الحاجة لا سيما قبور الاولياء و الصالحين فانا لا تعرف الا بذلك عند تطاول السنين ثم قال و يكره ان يجعل على القبر مظلة او يقبل التابوت الذي يجعل فوق القبر كما يكره تقبيل القبر و استلامه و تقبيل الاعتاب عند الدخول لزيارة الاولياء نعم ان قصد بتقبيل اضرحتهم التبرك لم يكره كما افتى به الوالد رحمه الله و قد صرحوا بانه إذا عجز عن استلام الحجر يسن له ان يشير بعصى و ان يقبلها و قالوا اي اجزاء البيت قبل فحسن انتهى.

فعلم من تعليله التقبيل المذكور انه كتقبيل يده لو كان حيا فان تقبيل يد

الرجل الصالح و التبرك به امر مشروع ففي سنن أبي داود عن يزيد ابن أبي زياد ان عبد الرحمن ابن أبي يعلا حدثه ان عبد الله بن عمر حدثه و ذكر قصة قال فدنونا يعني من النبي صلّى الله عليه و سلّم فقبلنا يده و عن ام ابان بنت الوازع ابن زارع عن جدها زارع و كان في وفد عبد القيس قال لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا نقبل يد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و رجله انتهى و ليعلم ان التبرك بآثار رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و منبره امر مشروع معمول به في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

و قد ذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية في كتابه الصراط المستقيم ناقلا عن أبي بكر الاثرم قلت لابي عبد الله يعني أحمد بن حنبل قبر النبي صلّى الله عليه و سلّم يمس و يتمسح به فقال ما اعرف هذا قلت له فالمنبر فقال اما المنبر فنعم قد جاء فيه قال أبو عبد الله شيء يرونه عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن ابن عمر انه مسح على المنبر قال و يرونه عن سعيد ابن المسيب[١] في الرمانة قال ابن تيمية قلت و يرونه من يحيى ابن سعيد انه حيث اراد الخروج الى العراق جاء الى المنبر فمسحه و دعا فرأيته استحسنه ثم قال لعله للضرورة او الشئ قيل لابي عبد الله انم يلصقون بطونم بجدار القبر و قلت له رأيت اهل العلم من اهل المدينة لا يمسونه و يقومون ناحيته فيسلمون فقال أبو عبد الله نعم و هكذا كان ابن عمر يفعل قال أبو عبد الله بابي و امي صلّى الله عليه و سلّم انتهى.

فانظروا ايها الاخوان الى ما كان اصحاب رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يفعلونه من التبرك بآثاره الشريفة في حياته و بعد وفاته بل كانوا يتبركون بوضوئه و شعره و غير ذلك و قد تعجب اكابر قريش عام الحديبية من تعظيم اصحابه له عليه الصلاة و السلام و قد سقطت قلنسوة خالد ابن الوليد رضي الله عنه في ساحة القتال فحمل حملة شديدة كشف عنها العدو فاخذها و لامه اصحابه على ذلك و قالوا

---

(١) سعيد ابن المسيب المدني توفي سنة ٩١ هـ. [٧١٠ م.].

لاجل قلنسوة تحمل هذه الحملة و تخاطر بنفسك فقال ما فعلت ذلك الا لان فيها شعرات من شعر رسول الله صلّى الله عليه و سلّم فهؤلاء يا اخواني السلف و اهل نجد يقولون نحن سلفيون و قد هدموا البيت الذي ولد فيه رسول الله صلّى الله عليه و سلّم لما احتلوا مكة و قد بلغنا انهم فعلوا بانقاض هذا البيت اشياء يستحيا من ذكرها فبالله عليكم لو ان حكومة غير اسلامية احتلت مكة هل كانت تفعل ذلك لا و الله بل كانت تحتفظ به لانه اثر تاريخي و هو في الحقيقة عند عقلاء المسلمين لا يقصر معنى عن منبر رسول الله صلّى الله عليه و سلّم الذي كان ابن عمر و سعيد ابن المسيب و يحيى ابن سعيد[١] يتمسحون و يتبركون به و يدعون الله عنده و هم من اكابر السلف الذين هم اقرب الناس بعهد الجاهلية الموجب لسد الذرايع و يؤخذ مما نقلناه عن المنهاج و شرحه ان البناء على قبور الاولياء و الصالحين مندوب او مباح لقوله عند ذكر جواز نبش البالي للدفن و كل ذلك كما قاله الموفق بن حمزة في مشكل الوسيط مالم يكن المدفون صحابيا او ممن اشتهرت ولايته و الا امتنع نبشه عند الامحاق و ايده بعض المتأخرين بجواز الوصية بعمارة قبور الانبياء و الصالحين لما فيه من احياء الزيارة و التبرك اذ القضية جواز عمارة قبورهم مع الجزم هنا بما مر من حرمة تسوية القبر و عمارته في المسبلة اي بعد امحاقه انتهى.

اقول و يدل لجواز ذلك كونه علامة على قبورهم ما روي انه صلّى الله عليه و سلّم وضع عند رأس عثمان ابن مظعون صخرة و قال **(اتعلم بها قبر اخي لأدفن اليه ممن مات من اهلي)** فرع ما ذكره الرملي شارح المنهاج ان العلماء افتوا بدم ما بني في القرافة بمصر لانها مسبلة قال و يظهر حمله على ما إذا عرف حاله في الوضع فان جهل ترك حملا على وضعه بحق كما في الكنائس التي تقر اهل الذمة عليها في بلادنا و جهلنا حالها قال المحشي و ليس منها قبة امامنا الشافعي رضي الله عنه فانها كانت قبل الوقف دار ابن عبد الحكم انتهى و اما البقيع فلم يثبت كونه وقفا و قد

---

(١) يحيى بن سعيد البصري توفي سنة ١٩٨ هـ. [٨١٣ م.].

علم مما قدمناه ان الدعاء عند قبر رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و عند قبور الانبياء و الصالحين مرجو الاجابة قال تعالى **(وَلَوْ أَنهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوابًا رَحِيمًا** * النساء: ٢٤) و قد جاء بعض الصحابة الى قبر رسول الله صلّى الله عليه و سلّم فتلى هذه الآية و دعا الله تعالى و استشفع به في حاجته فقضيت و هذه القصة و امثالها مذكورة في كتب الحديث فلا نطيل المقال بذكرها لكثرتا و شهرتا و لنكتف بما ذكره الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتابه الصراط المستقيم و في غيره من كتبه في كيفية زيارته عليه الصلاة و السلام و الدعاء عند قبره و كذلك عند قبور المسلمين في زيارتم كما قدمناه حيث قال و في ضمن الدعاء للميت دعاء الحي لنفسه و لسائر المسلمين كما ان الصلاة على الجنازة فيها الدعاء للمصلى و لسائر المسلمين و مما ذكره ايضا في كتابه هذا ما يرويه عن ابن أبي فديك سمعت من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلّى الله عليه و سلّم فتلى هذه الآية **(إِن اللهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلونَ عَلَى النبِي** * الاحزاب: ٥٦**)** و قال صلّى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلّى الله عليك يا فلان و لم تسقط له حاجة ثم قال و ذكر عن محمد بن الحسن ابن زبالة في كتاب اخبار المدينة مما رواه عن الزبير ابن بكار روي عنه عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال رأيت رجلا من اهل المدينة يقال له محمد ابن كيسان يأتي إذا صلى العصر من يوم الجمعة و نحن جلوس مع ربيعة ابن أبي عبد الرحمن فيقوم عند القبر فيسلم على النبي صلّى الله عليه و سلّم و يدعو حتى يمسي فيقول جلساء ربيعة انظروا الى مايصنع هذا فيقول دعوه فانما للمرء مانوى و محمد ابن الحسن هذا صاحب اخبار و هو مضعف عند اهل الحديث كالواقدي[١] و نحوه لكن يستأنس بما يرويه و يعتبر به.

و هذه الحكاية قد يتمسك بها على الطرفين انتهى يعني يتمسك بها من لا يرى بأسا بقصد القبر الشريف للدعاء عنده و يتمسك بها ايضا من لا يرى ذلك و

---

(١) محمد الواقدي توفي سنة ٢٠٧ هـ. [٨٢٢ م.] في بغداد.

يحمله على النية الصالحة كما في الاثر الذي يرويه عن ابن أبي فديك كما تقدم و قد صرح الشيخ تقي الدين بن تيمية في غير محل من كتابه الصراط المستقيم بكراهة قصد القبر للدعاء و بإباحته و ندب الدعاء عند القبر في اثناء الزيارة بحيث يكون الدعاء تبعا للزيارة و هذا منه يشبه الورع الزائد الذي ذكره الغزالي في احياء العلوم في باب الحلال و الحرام و الورع.

تتمة: لا يخفى ان ما فعله رجال حكومة نجد بعد استيلائهم على الحجاز من هدم المباني التي على قبور اهل البيت و الصحابة في البقيع و غيره لا ينطبق على قاعدة شرعية **اوّلا** لأن هذه المباني لم يتعلق بـا مورد النهي و علته حيث لم يعلم ان احداً من المسلمين صلى اليها او سجد لها حتى يقال ان هذا من ضلال الامم السابقة **ثانيا انا** بنيت لحفظ مراقدهم لتعرف كما ان رسول الله صلّى الله عليه و سلّم وضع صخرة عند رأس عثمان ابن مظعون و قال **(اتعلم بـا قبر اخي لادفن اليه من مات من اهلي)** و كان يكفيهم ان يمنعوا الناس عن زيارة غير مشروعة لو كانت **ثالثا انا** بنيت في زمن السلف الصالح فيقتضي ان تقاس على المباني التي كانت على قبور الانبياء لا سيما قبر ابراهيم الخليل عليه السلام و لم يتعرض لهدمها زمن الفتح الاسلامي و قد رآها الصحابة الكرام لا سيما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يهدمها و لا امر بدمها و قد ذكر الشيخ ابن تيمية في كتابه الصراط المستقيم وجود ذلك البناء على عهد الصحابة و لو ادعى ان باب البناء كان مسدوداً الى سنة الاربعمائة اليس انه قد اعترف بوجود البناء زمن الفتح و بعده فكان ينبغي لرجال الحكومة النجدية ان يتركوا هذه المباني كما ترك الصحابة رضوان الله عليهم المباني التي على الخليل عليه السلام او كان يكفيهم سد أبوابا بدلا عن هدمها على قبورهم المؤذي لهم المنهي عنه شرعا كما قدمناه و اما هدمهم المسجد ابي قبيس و دار الخيزران و غار حراء فهي مع كونا لم تبن على قبور فهي آثار تاريخية و بالخاصة غار حراء فهو محل تعبده صلّى الله عليه و سلّم قبل مبعثه بل هو اثر من آثاره الشريفة التي كان ابن عمر و غيره من الصحابة

يتبعون آثاره في سيره و محل صلاته كما مر نقل ذلك في الصراط المستقيم عن أحمد ابن حنبل رضي الله عنه و عنهم اجمعين على ان هذه المسئلة و المسائل التي قدمناها و امثالها فيها خلاف بين علماء الامصار و علماء نجد و لم يسمع و لم يذكر في زمن من ازمنة السلف و الخلف و حكوماتم من اجبر المسلمين على اتباع و سلوك مذهب دون مذهب من مذاهب اهل السنة و الجماعة فالشريعة المطهرة الاسلامية واسعة و لكل اهل مذهب براهين و دلائل من الكتاب و السنة على ان امراء نجد و حكامهم و ذووا الرفاهية منهم يرتدون الالبسة الحريرية المع على تحريمها و كذا المقصبات بالفضة و المحلاة بالذهب بمرئى من علمائهم مع ان ذلك اعظم حرمة من التتن و اعظم من ذلك اعتقادهم في الباري سبحانه و تعالى ما يستلزم الجسمية المستلزمة للحدوث و لا يعذرون في ذلك الا على القول بان لازم المذهب ليس بمذهب و اعظم من ذلك تكفيرهم لكثير من المسلمين استحلالا لقتلهم و سلب اموالهم على طريقة زناه فحده.

ايقاظ: لم يبق من المشاهد التأريخية في الحرمين بعد الكعبة الا القبة النبوية التي هي بيت سيد المرسلين بل بيت الدين و من اعظم ما يخشاه عقلاء المسلمين إذا تغلبت على سياسة ابن سعود الاكثرية النجدية و حينئذ (لا سمح الله) تمتد ايدي هؤلاء الجهلة بالسوء لهدم القبة النبوية و امتهان هذه الحجرة المحمدية التي تضم ضريح رسول رب العالمين و التي هي مهبط الوحي و التنزيل و طالما تردد اليها جبريل و عند ذلك لا سمح الله بلطخ بالمسلمين العار الذي لا تمحوه الادوار و لا سيما ملوك الاقطار و يصير لصدى ذلك مأتم مادام ليل و نار:

مأتم لا يتم الا إذا ما * كانت الخيل بالدماء تخوض

مأتم لا يتم الا إذا ما * اعين بالدماء دهراً تفيض

مأتم لا يتم الا إذا الد * نيا بدا بالورى لها تقويض

فالى الله المشتكى مما حل بالمسلمين من التقاطع و التخاذل و التنازع الذي ادى لجعل اعظم البلاد الاسلامية شرقا و غربا ضحية الاحتلال و الاستعمار و

السيطرة الاجنبية ففي المشكاة عن أبي داود رحمه الله قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم **(يوشك ان تتداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة الى قصعتها)** فقد ظهرت هذه المعجزة النبوية في زماننا هذا فنسئل الله تعالى ان يصلح المسلمين و ولاة امورهم و ان يثبتا على الدين الاسلامي و الشرع المحمدي بمنه و كرمه و صلّى الله و سلّم على سيدنا محمد و على آله و صحبة اجمعين و الحمد لله رب العالمين و كان الفراغ من تسويد هذه الورقات في اليوم الثامن عشر من شهر جمادي الآخرة من شهور السنة الخامسة و الاربعين بعد الثلثمائة و الالف هجرية على صاحبها افضل الصلاة و التحية ١٣٤٥